المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

الغربة في شعر محمد العيسى

Alienation in the poetry of Muhammad Al-Issa

إعداد

منيرة دخيل اللّه العيشي

كلية اللغة العربية ـ جامعة الطائف

المملكة العربية السعودية

العدد الرابع (إصدار ديسمبر ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الغربة في شعر محمد العيسى

منيرة دخيل الله العيشي

كلية اللغة العربية ـ جامعة الطائف ـ المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني : al3eshi60@gmail.com

الملخص

تعد تجربة الشاعر (محمد فهد العيسى) الشعرية من أكثر التجارب الشعرية المتميزة بالحداثة، موظفاً من خلالها مفهوم الغربة؛ حيث استطاع الشاعر تحويل المعاناة الإنسانية (الفردية) إلى قيم انفعالية تعبيرية، تهدف من وراء ذلك إلى طرح قضية من أهم القضايا الإنسانية المعاصرة الملازمة للإنسان، والعمل على تحريك المتلقي ولفت انتباهه، وإثارته وجدانياً، ومن ثم العمل معاً على حل هذه القضية.

وقد تناولت هذه الدراسة الغربة في شعر محمد العيسى، وذلك من خلال اختيار ديوانه الشعري الموسوم بـــ(الحرف يزهر شوقاً)، وهذه الدراسة مقسمة إلى قسمين:

القسم الأول: معنى بالمسلك التنظيري؛ حيث خصص لعرض حياة الشاعر، وسيرته العلمية والأدبية، وطرح مفهوم الغربة من المنظور اللغوي والاصطلاحي، وتحديد مفاهيمه ودلالاته.

القسم الثاني: معنى بالمسلك التطبيقي؛ حيث خصص لدراسة أنماط الغربة وتحليل أنواعها ، وقد جاءت على النحو التالي:

النوع الأول: الغربة الذاتية (النفسية): وعني معرفة أسباب ما يعمق حالة الانفصال، والعزلة.

والنوع الثاني: الغربة الاجتماعية (المكانية):

واقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، للكشف عن ظاهرة الغربة في النصوص الشعرية.

الكلمات المفتاحية: الغربة ، شعر محمد العيسى ، الغربة الذاتية ، الغربة الاجتماعية .

Alienation
in the poetry of Muhammad Al-Issa

Munira Dakhil Allah Al-Aishi
College of Arabic Language, Taif University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: al3eshi60@gmail.com

Abstract

The poetic experience of the poet (Mohammed Fahd Alissa) is considered one of the most distinctive poetic experiences of modernity, through which he employs the concept of alienation. The poet was able to transform human suffering (Individualism) into expressive emotional values, aiming to raise one of the most prominent contemporary human issues, move the recipient, draw his attention, arouse him emotionally, and then work together to solve this issue.

The study dealt with alienation in the poetry of Mohammed Alissa, by selecting his poetry collection entitled: (Al-Harf Yuzhir Shwqan) "The Letter Blooms with Longing".

This study is divided into two topics:

First topic: It has adopted the endoscopic approach. It was devoted to presenting the poet's life, his scientific and literary biography, presenting the concept of estrangement from a linguistic and terminological perspective, and defining its concepts and connotations.

Second topic: It has adopted the applied approach. It was devoted to studying and analyzing the types of alienation; As follows:

First type: Self-estrangement (Psychological): It means knowing the reasons for what deepens the state of separation and isolation.

Second type: Social (Spatial) alienation: The study has adopted the descriptive analytical approach, to reveal the phenomenon of alienation in poetic texts.

Keywords: estrangement, poetry of Muhammad Al-Issa, self-estrangement, social estrangement.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبدالله،،، وبعد:

ظل الشعور بالغربة ملازماً للأديب بوجه خاص، والإنسان بوجه عام؛ لاسيما بعد أن تكونت المجتمعات، ونشأت معها الأزمات، في ظل التغيرات التي طرأت على التركيبة الاجتماعية، مما تمخض -بشكل أو بآخر- عن ظهور أنواع من الغربة عاشها الفرد، ونتج عنه ألوان وصور من التمرد والعصيان، والانعزال عن الحياة، والمحيط الذي يعيشه، والانكفاء على الذات، إضافة إلى فرض بعضٍ من الغربة المكانية الاجتماعية على شريحة من الناس، ومن ثم مفارقة الوطن، وإلى غير ذلك من النتائج التي ترتبت على الغربة، وتعد تجربة الشاعر (محمد فهد العيسى) الشعرية من أكثر التجارب الشعرية المتميزة بالحداثة، موظفاً من خلالها مفهوم الغربة؛ حيث استطاع الشاعر تحويل المعاناة الإنسانية (الفردية) إلى قيم انفعالية تعبيرية، تهدف من وراء ذلك إلى طرح قضية من أهم القضايا الإنسانية المعاصرة الملازمة للإنسان، والعمل على تحريك المتلقي ولفت انتباهه، وإثارته وجدانياً، ومن ثم العمل سوياً على حل هذه القضية.

وقد تناولت هذه الدراسة الغربة في شعر محمد العيسى، وذلك من خلال اختيار ديوانه الشعري الموسوم بـ(الحرف يزهر شوقاً)، وهذه الدراسة مقسمة إلى قسمين:

القسم الأول: معنى بالمسلك التنظيري؛ حيث خصص لعرض حياة الشاعر، وسيرته العلمية والأدبية، وطرح مفهوم الغربة من المنظور اللغوي والاصطلاحي، وتحديد مفاهيمه ودلالاته.

القسم الثاني: معنى بالمسلك التطبيقي؛ حيث خصص لدراسة أنماط الغربة وتحليل أنواعها ، وقد جاءت على النحو التالي:

النوع الأول: الغربة الذاتية (النفسية): وعني معرفة أسباب ما يعمق حالة الانفصال، والعزلة.

والنوع الثاني: الغربة الاجتماعية (المكانية):

واقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، للكشف عن ظاهرة الغربة في النصوص الشعرية.

وذيل البحث بخاتمة احتوت على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم المصادر والمراجع التي اعتمدت في الدراسة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن النماذج الشعرية، التي تم الاعتماد عليها، هي عينة من جملة قصائد كثيرة تشترك في الموضوع نفسه، وطريقة المعالجة، والتناول الفني التي تضمنتها أعمال الشاعر الشعرية المتميزة، ونظراً لضيق الوقت، وحجم البحث فقد اكتفي بهذا القدر، سائلين الله التوفيق والسداد.

التمهيـــــــد

المحور الأول: حياة الشاعر وسيرته العلمية والأدبية:

محمد فهد عبدالله العيسى، شاعرٌ وأديب سعودي من مواليد مدينة عنيزة عام (١٤٣٤/٩/٢٥هـ).

ومسقط رأسه قرية صبيح، وهي بلدة من أقدم القرى في منطقة القصيم، وتحديداً في مدينة عنيزة وكان والده من رجال الملك عبدالعزيز لذلك وجد رعاية ونشأة متماثلة مع أقرانه ممن كانوا في زمنه، حصل على شهادته الثانوية في عام (١٣٥٩هـ)، ثم تقلّد عدة مناصب في الحكومة؛ إذ عين في وزارة الخارجية، ثم نقلت خدماته إلى مصلحة الزكاة والدخل في وزارة المالية والاقتصاد الوطني عام (١٣٧٣هـ)، ثم نقلت خدماته إلى وزارة العمل والشئون الاجتماعية، وكان ذلك عام (١٣٨١هـ)، ثم عين وكيلاً ثم مديراً لمكتب العمل، ثم مديراً عامًّا للوزارة، ثم نقل إلى الديوان العام لوزارة الخارجية، وعيّن رئيساً لإدارة الشؤون الإدارية والقانونية، ثم عمل سفيراً للمملكة لدى جهورية موريتانيا الإسلامية، وكان ذلك عام (١٣٩٢هـ، ثم عمل بعد ذلك سفيراً للمملكة لدى دولة قطر عام (١٣٩٥هـ)، ثم سفيراً للمملكة الهاشمية عام (١٤٠٧هـ)، ثم انتقل إلى سلطنة عمان ليعمل سفيراً فيها وكان ذلك عام (١٤١٥هـ)، ثم عيّن عضوًا لمجلس الشورى عام (١٤١٧هـ)، ثم سفيرًا لدى مملكة البحرين عام (١٤٢٠هـ)، ثم عيّن بعد فترة عضوًا في لجنة محاسبة إحدى الشركات التابعة لأرامكو، ثم عضوًا في لجنة المقابلة لتوظيف مفتشي الضمان الاجتماعي، ثم عضوًا في لجنة المقابلة للموظفين في وارة العمل والشؤون الاجتماعية، ثم بعد ذلك تقلّد رئاسة لجنة المتقدمين للعمل في وزارة الخارجية، إضافة إلى هذا شارك في عضوية وفد المملكة العربية

السعودية في المؤتمرات الخليجية، والعربية، والإسلامية، وصدر له كتاب بعنوان (الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى)[١].

نال وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الممتازة، ونال وسام الاستحقاق الوطني من جمهورية موريتانيا الإسلامية، ونال وسام الاستحقاق أيضا من دولة قطر، وإضافة إلى ذلك نال الميدالية الذهبية للمستشرق الهولندي المسلم عبدالكريم حرمانوس من جمعية المستشرقين في هولندا، وبعد فترة طويلة من الزمن تقاعد من خدمة الدولة عام (١٤٢٢هـ)[٢].

له ثلاثة عشر ديواناً شعريًّا، مرتبة بحسب طباعتها وهي: على مشارف الطريق -ليديا-دروب الضياع- ليه يا- الإيجار في ليلة الشجة- ندوب- ليلة استدارة القمر البحرين -حداء البنادق- الكبرياء-في مقالع الريح- القول في قصائد- الحرف يزهر شوقاً- أين قفاة الأثر- عاشق من أرض عبقر).

وإلى جانب هذه الدواوين له كتابات أخرى، مثل المقالات، والبحوث، نشرت في الكثير من الصحف السعودية، والخليجية، والعربية، اجتازت دورات في الإدارة، والتنمية، والمصارف من جامعة برادفور في المملكة المتحدة البريطانية، والجامعة الأمريكية فيبير، وميتشيجين في الولايات المتحدة الأمريكية[٣].

(١) ينظر: جمهرة لسان العرب، حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط١، (٢٠٠١م)، (٤٤٤/١)، والعماء والكتاب في أشيقر خلال القرنين، ١٣-١٤ الهجرتين، عبدالله البسيمي، ط١، (١٤٢١هـ)، (١٢٨/١).

(٢) ينظر: جمهرة لسان العرب للجاسر، مرجع سابق، (٤٤٤/١)، والعماء والكتاب في أشيقر للبسيمي، مرجع سابق (١٢٨/١).

(٣) ينظر: المرجع السابق.

المحور الثاني: مفهوم الاغتراب:

يعد مفهوم الغربة واحداً من المفاهيم التي يكتنفها الكثير من الغموض وذلك مرده إلى المفاهيم، والمجالات، والنظريات العلمية، سواء أكان ذلك في المجال الاجتماعي، أو المجال النفسي، أو المجال الفلسفي، إلى جانب المجال الأدبي، بفنيه الشعر والنثر، مما أكسبه الكثير، والعديد من المعاني سواءً أكان لغوياً، أو نفسياً، أو موسوعياً، أو غير ذلك.

أ. الغربة لغة:

الغربة تعني ((الذهاب والتنحي عن الناس)) والتغريب: النفي عن البلد وغرب أي بعد... ورجل غرب بضم الغين والراء وغريب ((بعيد عن وطنه... وأغرب الرجل إذا اشتد وجعه))[١].

قال زهير بن أبي سلمى[٢]:

ومن يغترب بحسب عدواً صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ب. الغربة اصطلاحًا

تعد الغربة ظاهرة من الظواهر القديمة والجديدة، حيث لم ترتبط بوقت محددٍ، أو مدةٍ زمنية، إلا أنها تزداد في فترات تكثر فيها الاضطرابات، والقلق، والأزمات، وعدم الاستقرار، والتفكك الأسْري، جراء الأوضاع المجتمعية، سواء السياسة، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية؛ لهذا استخدم العديد من الفلاسفة مصطلح الغربة، ليشيروا به إلى مفاهيم معينة، فالغربة عند (هيجل) هو: ((انفصال الإنسان عن ذاته وأفعاله، وعن الآخرين،

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة غرب، (١١/٢٥،٢٤)، ط:١، (بيروت: دار صادر) ٢٠٠٠.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط (٢٠٠٥م)، (ص:٧٠).

انفصالاً تصبح معه كل الأشياء غريبة عنه))[1].

ويمكن القول: إن الاغتراب له مفهوم فلسفي، ساهم في تكوينه بعض العلوم مثل علم الاجتماع وعلم النفس وهو عند العديد من المفكرين والفلاسفة ظاهرة إنسانية امتد وجودها ليشمل مختلف أنماط الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ((حيث تزايدت مشاعر هذا الاغتراب، واختلفت نتائجه لاختلاف طبيعة العصر الذي يعيش فيه الإنسان، عصر التنافس والتغيرات المتلاحقة، عصر طغت فيه المادة، مما أدى إلى إصابة الإنسان بالكثير من المشاكل والاضطرابات، والتي جاء في مقدمتها ظاهرة الاغتراب التي لفتت انتباه الباحثين والدارسين، وكانت محط اهتمامهم الأول))[2].

والغربة لها مفهوم واسع يمكن إجمال القول فيه بأنه الشعور بانحدار السيطرة والإحساس بالعجز، والانسحاب عن المجتمع الإنساني، التشاؤم، الاستئناس بالوحدة، فضلاً عن العزلة عن الحياة وعدم الشعور بجدوى هذه الحياة كلها، وفقدان المعايير والقيم وعدم الالتزام بها.

أما مصطلح الاغتراب في حد ذاته، فقد انقسم إلى عدة مصطلحات منها: الاغتراب الروحي[3]، الاغتراب الفكري، والاغتراب

---

(١) الاغتراب عند إريك فروم، حسن حماد، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت: (١٩٩٥م)، (ص:٥٠).

(٢) مظاهر الاغتراب عند معلمي المرحلة الثانوية في الأردن، عبدالله عويدات، دراسات العلوم الإنسانية، (١٩٩٥م)، (ص:٢).

(٣) يرجع هذا النمط من الاغتراب إلى الشعور بالافتقاد للروابط العقائدية التي ينطلق فيها الأفراد في تفاعلهم الإنساني، وقد برز هذا الشكل في أوروبا في فئة ترجع إلى العصور الوسطى. ينظر: مقالة بعنوان: (الاغتراب)، لحسن فرج، المركز الفلسطيني للإرشاد، (٢٠٠٦م)، (ص:٤).

النفسي[١]، والاغتراب الاقتصادي[٢].

وبالتالي فإنَّ مفهوم الاغتراب ((ابتعد عن معناه اللغوي الذي يرتبط بالنزوح عن الوطن، وصار له معان أخرى تدور في مجالها حول شعور الإنسان بالغربة عن نفسه، وعن مجتمعه، حتى وإن لم يغادره))[٣].

وهذه المعاني المتعددة للاغتراب قد غير فيها الأدباء في المملكة العربية السعودية وطرحوها من منظورين:

المنظور الأول: الغربة الذاتية النفسية.

المنظور الثاني: الغربة الاجتماعية المكانية.

فالمجتمع السعودي مر في فترة الطفرة وما بعدها بتحول مادي هائل بسبب تلك النقلة الاقتصادية التي شهدتها المملكة، وقد أثر هذا التحول المادي بشكل كبير على التركيبة الاجتماعية داخل المجتمع السعودي؛ فحدث ما يسمى بالطفرة، وقد أحدثت الطفرة تحولاً ملحوظاً في البنية الاجتماعية وقد كان تأثير الثروة مختلفاً ومتفاوتاً على الناس، فمنهم من استفاد من هذه الثروة، ومنهم من عجز عن استيعابها، ووقف متفرجاً على هذه النقلة

---

(١) تتمثل مظاهر الاغتراب النفسي المتضمنة للشعور بعدم المساواة والعدل، والشعور بنقص فرص الإبداع، والشعور بالملل والكآبة، وعدم الانتماء والولاء، والشعور بعدم الرضا والراحة لما حولها. ينظر: التنظيم الاجتماعي وظاهرة الاغتراب، (ص:٣٥٥).

(٢) مع تفاقم الحيل الاختراعية الهادفة للاقتصاد بتكاليف الإنتاج، ومضاعفة الأرباح تصاعدت القيود التقنية على حركة الإنسان المعاصر وحريته، وتقلصت معها إرادته وإنسانيته، وهكذا أدخلت الآلة الإنسان في تجربة جديدة كان الاغتراب أحد نتائجها المأساوية. للمزيد انظر: مقالة بعنوان (الاغتراب) لحسن فرح، مرجع سابق، (ص:٤)، نقلاً عن: الاغتراب وتحديات العصر، قيس النوري، مجلة آفاق عربية العدد (١٨)، لعام (١٩٩٣م)، (ص:٢٥).

(٣) البطل في الرواية السعودية، د.حسن الحازمي، نادي جازان الأدبي، ط١، (١٤٢١)، (ص:٥٣٦).

الكبيرة، وكان من الضروري في ظل هذا الرخاء المادي أن ترتقي شريحة من الناس وبالمقابل بقيت شريحة كبيرة أخرى لم تستفد من معطيات هذا التحول في مكانها بما تراكم داخلها من آثار نفسية(١).

وقد انعكس ذلك كله على الشعراء والمبدعين؛ فأتاح لهم الفرصة لاستقاء بعض هذه الأفكار وطرحها في أعمالهم الشعرية؛ ولهذا اتجهت كثير من الأعمال الأدبية إلى التعبير عن بعض معاني الغربة؛ ومن أمثال ذلك الشاعر (محمد فهد العبسي) الذي صور لنا ما آلت إليه نتائج هذا، وسوف تركز هذه الدراسة على أشكال الغربة عند هذا الشاعر، كما تظهر في النصوص الشعرية المختارة من دواوينه، مع الاكتفاء بعرض بعض منها لا حصرها؛ وذلك لما تقضيه ظروف البحث والمدة الزمنية المحددة له.

(١) ينظر: صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية (١٣٩٠هـ-١٤١٦هـ)، إعداد: منال عبدالعزيز العبسي، النادي الأدبي بالرياض، ط١، (١٤٢٣هـ) (ص:٦٦).

المبحث الأول: الغربة الذاتية

تمثل الغربة الذاتية شعور الفرد بالانفصال النسبي عن ذاته، ومجتمعه، أو كلاهما معاً، بمعنى آخر شعور الفرد بأن ذاته ليست واقعية، أو تحويل طاقاته وشعوره بعيداً عن ذاته الواقعية.

ويشكل مفهوم الغربة الذاتية عند محمد الفهد العيسى مفارقة اغترابية نفسيةً لجوهر الذات الطبيعة بوصفها انبثقت من عدة عوامل، منها صفاته، ومواقفه من الطبيعة والكون، ورحلاته وسفراته الدبلوماسية؛ حيث كان سفيراً للمملكة العربية السعودية لدى عدة دول، وكل هذه العوامل أسهمت في تشكل مظاهر الغربة الذاتية في شعره، ولعل نزوحه عن وطنه شكل أهم عامل من عوامل غربته النفسية.

ولاشك أن النزعة الرومانتيكة التي تلبّست شعر العيسى قد ضاعفت من مرارة هذا الشجن الحارق، وزادت من لواعج الشكوى، شأن كل الشعراء الرومانتيكيين العرب الذين أغرقوا الشعر العربي ببحار من دموعهم وآهاتهم سواء على الحبيب النافز أو احتجاجاً على الواقع الذي يبدو لهم كئيباً فاجعاً لا مكان فيه للإنسان الرقيق الحساس الذي أرهقته، شاعريته وأشقته همومه الذاتية، وذهبت به شتى المذاهب(١).

يقول في قصيدته العودة(٢):

آلاف أماسٍ عصفت بي

أعوام التيه.. الصمت.. النكران

---

(١) مقال بعنوان الشعراء والنقاد، محمد الفهد العيسى شاعر الحزن الشفيف، صحيفة الرياض، الخميس ٢٨ صفر ١٤٣٤هـ -١٠، يناير ٢٠١٣م- العدد (١٦٢٧١).

(٢) الديوان (ص:١٤).

التوق.. البوح.. الشوق.. الغربة
ندوبٌ ما زالت
تنكأ جرحاً ينزف
ينزف مأساة إنسانْ

في هذا النص نجد الصراع النفسي بشكل جلي، فالنص يكشف عن الحالة الاغترابية التي عصفت بالشاعر، ودلت على تشتت الرؤى لديه، فالصراع يبدأ من التيه وينتهي إلى الغربة، وبينهما صمتٌ، ونكرانٌ، وشوقٌ يشكل مأساة إنسان، ونلحظ أنسنة الغربة؛ فذي الأماسي لا زالت تعصف بقلب الشاعر وتدخله في عوالم من التيه وتنكأ جراحه، مما خلف مأساة إنسان جعلته يبحث عن العودة للخروج من حالة الضياع والتشتت؛ والصراع النفسي؛ لذلك نجد العنوان يشي بطموح الشاعر للخروج من أزمته وغربته الذاتية.

وفي رحلته الاغترابية هذه نجد حالة التبعثر والضياع والحيرة، مع فقدان الأمل في إكمال المسير في هذه الحياة يقول:

تبعثر الدرب أمامي
وأطفأت الريح المصباح
وحارت قدماي
ما عادت تقوى السير
((الشيح)) تقصف
((والقيصوم))

نسيت المزن الوسمية[1] نلحظ كيف اعتمد على التصوير في رسم

(١) الديوان (ص:٤٨) .

صورة الشتات والضياع الذي يعانيه (تبعثر الدرب)، (أطفأت الريح)، (حارت القدم)، (تقصف)، (نسيت المزن) فالشاعر اعتمد على التشخيص؛ لأن هذه الصور تشي بالدلالة على مدى المعاناة النفسية لدى الشاعر، فالتبعثر والحيرة والانشطار الذاتي الذي يعانيه الشاعر حدد لنا أبعاد هذه الغربة، كما أن حنينه لوطنه، والذي ظهر في استلهامه لنباتاته (الشيح) و(القيصوم) عبر عن بعد آخر لهذه الغربة.

إن هذه الصور الاغترابية النابعة من صميم حياته وذاته قد أبعدته عن المجتمع، وقوت لديه ميله إلى الانعزال، أو ما يمكن أن نسميه بالانقطاع عن الزمان والمكان، لذلك نجده يستلهم غربة أبي العلاء المعري -رهين المحبسين-، ويتناص معه، فاستحالت الغربة لدى شاعرنا إلى حالة من القلق، والهروب من الواقع، فكان قلقاً اغترابياً؛ ظهر في قصيدة رسالة إلى أبي العلاء المعري يقول فيها[1] :

أأبيت حبيس الجرح قلبي مشاعرٌ تموج بصدري بين كسري وأسري

أستون يوماً؟ أم الدهر آدنى؟ عليلٌ أعاني من هموم مشاعري

أقضيّ ظلال الليل في ثوب هارب ويشقى بضوء الشمس يومي وخاطري

فهذا النص يوضح الحالة الاغترابية التي تدل على تشتت الفكر والرؤى (أستون يوما)، (أم الدهر)، بيد أنَّ ظلام الليل يجعله يلبس ثوب هاربٍ، وليس ضوء النهار إلا مصدراً لشقائه.

ولو تابعنا القصيدة نجدها تدور حول معاني الغربة بكل أنواعها واتجاهاتها وأبعادها، وهو اغتراب يصل إلى ذروته النفسية حين يستشعر

(١) الديوان (ص:٥١).

الضياع، وحالة الضيق التي تحيط به يقول[١]:

أرى الكـــون حـــولي كخـــاتم خنصـــر يضيق على الحلقوم هل ثمّ عـاذري؟!

من هنا نجد أن الطاقة الشعرية التعبيرية تثير لديـــه تواشـــج الخيـــال بالواقع والعاطفة بالفكر ليدهشنا بهذه الصورة التي رسمها للكون فقد أصبح على رحابته كخاتم صغير.

ثم نجده بصورة حالة الشقاء التي تتنازعه فيقول[٢] :

أطـــوي الليـــالي والأيـــام مـــن شـــجن تشـــقى حـــروفي وأوراقـــي وأقلامـــي

مـــاذا دهـــى الليـــل لا نجـــم يلـــوح بـــه قـــد كـــان شـــعري أفـــانيني وأعلامـــي

نلحظ في النص السابق حضور الليل في رسم حالة الضياع والشـــجن الذي يعانيه، فهو يبحث في هذا عن نجم يهديه، يلوح له بأمل في غدٍ خـــالٍ من الشجن والشقاء، وحالة الضياع الذاتي الذي يعاني منه، فقد زادت عليه فواجع قلبه، وزادت عليه أحزانه فخرجت على لسانه[٣]:

مـــاذا دهـــى القلـــب آهٍ مـــن فواجعـــه ينـــز.. يرجـــف واحـــرّاه للظـــامي

أمشـــي تـــواكبني ســـود الـــرؤى وشـــقت بشـــقوتي. مـــن لظـــى الأحـــزان. أيـــامي

إنـــي غريـــبٌ غريـــبٌ رغـــم عالمـــه وذا العـــذاب.. الـــرّدي حصـــاد أعـــوامي

نلحظ في رسم الشاعر لحال التشتت والحزن الذي يسيطر على قلبـــه وروحه اعتماده على عدة أساليب؛ كالاستفهام الذي يظهر في أول الـــنص، والتكرار في (غريب)، أو التضعيف الذي يشعر بمدى الحزن وقوته (حرّاه)،

(١) الديوان (ص:٥١).
(٢) الديوان (ص: ٧٢).
(٣) الديوان (ص:٤٤).

مما يضفي على النص مزيدا من الحزن والألم، ويعكس غربة متمكنة.

ومن خلال الديوان نجد الشاعر يستخدم لغة شعرية تغاير المعتاد، فينزع إلى المزج في صورة مدهشة بين الحواس، فتتراسل المشاعر والمدركات، مما يشكل نهجا تصويريا في شعره.

المبحث الثاني: الغربة الاجتماعية

إن الإنسان يولد ليجد نفسه في خضم علاقات اجتماعية لم يسع لتكوينها؛ فثمة علاقة تربطه بأمه وأبيه، وأخرى تربطه بإخوانه وأخواته، وعلاقات تربطه بأقاربه، وغيرها من العلاقات التي تكون بعد ذلك محض إرادته.

وعلى الرغم من وجود تلك العلاقات في حياته فقد يعاني من الغربة بشتى أنواعه، وخصوصا الشاعر المرهف العالي الإحساس، الصادق النبض، الباحث عن أواصر الحب الإنساني السامي؛ لذا ينفث همومه متخذا من الليل أنيساً، ومن الطبيعة جليسا، فيعتزل المدينة، ويتغنى بالألم، وينشد الحزن طربا، لعله يخفف وطأة الحنين واليأس.

وعمل العيسى سفيرا للمملكة متنقلا بين المدن جعله يعاني من الألم والوحدة اللذان دفعاه نحو الغربة الاجتماعية، فقد لقب نفسه بـ(الفهد التائه)[1]، ويضاف لذلك بحثه عن الحبيبة الموهومة، ومن هنا جاءت تجربته الشعرية مشبعة بالمرارة والألم.

يقول في قصيدته ((الألم الآتي)):

((نهبتني الريح..
تقاذفني الموج.. الإعصارْ
ضلت أشرعتي
كل مواني مدن الأسفارْ....))[2]

(١) جريدة الرياض، (محمد الفهد العيسى: مجموعة إنسان) عبدالرحمن الشبيلي، السبت ٢٨ ذو الحجة ١٤٣٤هـ العدد ٤١٥.

(٢) الديوان (ص:٣٥)

هذا المشهد التصويري يكشف عن القلق والشتات الذهني الذي يعيشه الشاعر، مما يدفعه للشعور الطاغي بالغربة، فأفعال المضارعة المستمرة (نهبتني، تقاذفتني، ضلت) جعلت المشهد التصويري متحركاً بكل أبعاده، فيسمع صوت الريح، ويُرى تقاذف الأمواج، ويضل الطريق، ومعرفة الدرب، ومما زاد المعنى عمقا الصور الاستعارية في المقطع الشعري، فهذا يُظهر أنّه على كثرة رحلاته وتنقله بين المدن إلا أنه يشعر بالغربة، وعدم الألفة في تلك المدن، مما يكشف عن صراغ نفسي داخلي يعيشه الشاعر مع المجتمعات التي يتنقل إليها.

ومن ذلك قوله في قصيدته ((حرف في حاشية منسية)):

((تبعثر الدرب أمامي.....
نَهَدَتْ عنه الشمس إلى الأفق بعيداً....
بعيدًا....
خلف طيوف ثلجية.....
وراء غيوم ليال.....
أوْحلت الدربَ.....
ضلَلْتُ.....؟))[1]

يبث الشاعر غربته، والحيرة التي تنتابه جراء فقدان من يشكو إليه أو حتى يشعر بالأمان تجاهه، مستعيناً في ذلك بالاستعارة المكنية، حيث أسند النهد إلى الشمس، وارتفاع الشمس عن الدرب دلالة على الضياع والتشتت والغموض الذي يكتنف ذلك الطريق، ويؤكد ذلك باستخدامه التكرار (بعيدا، بعيدا) هذا التكرار الذي يحمل اليأس المتمكن من قلب الشاعر ووجدانه، كما

(١) الديوان (ص:٤٧).

أن في تنكيره لكلمة (ليال) دلالة على أنها ليال موحشة مظلمة يكتنفها القلق واليأس، ثم يختم الشاعر المقطع بقوله (ضللت...؟) تعطي هذه الجملة الفعلية الواردة بصيغة الماضي دلالة تؤكد على تمكن اليأس من قلب الشاعر ووجدانه، وشعوره بالتيه والضياع، فهذا الإحساس الطاغي بالغربة يأتي مثقلا باليأس والأسى منذ الطفولة:

((عامُ الزمن.....
أجيال في ذاكرتي....
تجُر ورائي الأحزان.....
وتزرع في دربي-الحرمل- (غمراً....
..... (غمرًا.....
الزمن توقف.....
يُشرع في ذاكرتي أبدًا.....
الحرمان..... الصمت.....))[1]

هكذا يتلذذ العيسى بالضياع، ويتنفس بالتيه، مستخدما في ذلك الألفاظ القوية المعبرة التي تصور ذلك الضياع وذلك اليأس، فقوله: (أجيال في ذاكرتي) دلالة على امتداد الضياع على عمره كله، كما أن اختياره (الحرمل)- وهو نوع من أنواع النبات يمتاز بمرارة المذاق - يصور مرارة وحرقة ما يجد العيسى في غربته المرة، ويؤكد ذلك مستخدما أسلوب التكرار (غمرا، غمرا)؛ فالغمر هو الحقد، فذكرياته تحقد عليه، وتزرع الحرمل في طريقة حقدا حقدا، وكأنها شخص يعي ويتعمد إيذاءه وشقاءه، مما يحمل مع هذا التصوير دلالات الخيبة والغربة، كما أن هذا التكرار أدى إلى تكرار

(١) الديوان (ص:٤٩).

صوت الغين؛ الذي يتصف بصفة الاستعلاء، وعند النطق به يكون هناك فراغ ضيق يسمح للهواء بالمرور مع حدوث احتكاك وتتذبذب في الأوتار الصوتية حال النطق به[١]، فهذه الحالة الصوتية للحرف تصف للقارئ الصراع الداخلي الذي يدور في وجدان الشاعر وقلبه.

ومن بواعث شعوره بالغربة الاجتماعية حنينه إلى الديار، يقول في قصيدة ((بوح))[٢]:

يا نديمي في الهوى عرجا بي نحو دار جذورها في إهابي

واسقياني رحيق وجد ندي من هواها، فمن هواها شرابي

أنتما من أراه قصدا لصاد فارفقا بي وارثيا لا غترابي

يعتمد الشاعر في هذا المقطع من القصيدة على أسلوب النداء الذي يحمل الرجاء والأمل (يا نديمي)، فهو يخاطب بصيغة المثنى؛ ربما شعوره بالوحدة والاغتراب يجد في الشعر متنفسا ومجتمعا آخر عوضا عن الواقع، كما أن النداء بحرف النداء (يا) التي تكون لمناداة القريب والبعيد، فالقريب يحاول الشاعر أن يعوض ذلك في الشعر وخياله ويشعر بقرب النديم منه، أما البعيد فهي حقيقة الغربة التي يعيشها، كما أن ياس المتكلم في (نديمي، إرهابي، اسقياني، شرابي، اغترابي) يسري معها صوت الأنين على تلك الديار، والحنين إليها، ثم يعود ويمني روحه بالعودة فيقول[٣]:

ليت شعري أما يُرد زمانا زانه الوصل في (الرياض) الرحاب؟

(١) استخدامات الحروف العربية، سليمان فياض، ط:د، دار المريخ، الرياض، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، (ص٩٠).

(٢) الديوان (ص:٢٥).

(٣) الديوان (ص: ٢٨).

فهذا البيت يصور الشاعر فيه حنيناً جارفاً إلى ذلك الزمن الذي استمتع فيه بوصل من يحب في (الرياض)، فالذكريات السعيدة يجد الشـــاعر فيهـــا الملجأ كلما اشتدت عليه قسوة الحياة، كما أن الاستفهام يحمل الحسرة على تلك الأماكن وما تحمله من ذكريات.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد بن عبدالله،،، وبعد:

من خلال دراسة ظاهرة الغربة في ديوان ((الحرف يزهو شوقا)) للعيسى يتضح ما يلي:

ظهور الاتجاه الرومانسي وسماته في شعر العيسى؛ وذلك من خلال عدة أمور:

تمثل الغربة معلما من معالم الرومانسية؛ فالانكفاء على الذات هروبا من الواقع، والبحث عن مثال خاص لا يتحقق في الواقع.

معجمه اللفظي يحتشد بالأحاسيس الجياشة والعواطف المتأججة، والحزن والقلق والحيرة واليأس والبؤس.

يظهر من خلال عناوين قصائده في الديوان (الأمل الآتي، بوح، حب، العودة، حرف في حاشية منسية، فليأت الطوفان، فوق الجراح، السؤال ما زال بعد السؤال، حيرة، لا علي وعليك.....) وغيرها من العناوين التي تشع بالغربة الذاتية والاجتماعية.

لغته سهلة واضحة معبرة عن ذاته القلقة، وما يعتلج فيها من مشاعر وأحاسيس في كل أحوالها.

اعتماده في إظهار صوره على التشخيص، والأساليب البلاغية كالأمر والتمني والنداء وغيرها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المراجع

أولا: الكتب:

- استخدامات الحروف العربية، سليمان فياض، ط:د، دار المريخ، الرياض، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
- البطل في الرواية السعودية، د.حسن الحازمي، نادي جازان الأدبي، ط١، (١٤٢١).
- العلماء والكتاب في أشيقر خلال القرنين، ١٣-١٤ الهجرتين، عبدالله البسيمي، ط١، (١٤٢١).
- الاغتراب عند أريك فروم، حسن حماد المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، (١٩٩٥م).
- جمهرة لسان العرب، حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط (٢٠٠١م).
- ديوان زهير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط (٢٠٠٥م).
- صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية (١٣٩٠هـ-١٤١٦هـ)، إعداد منال عبدالعزيز العبسي، النادي الأدبي بالرياض، ط١، (١٤٢٣هـ).
- لسان العرب، لابن منظور، ط:١، (بيروت: دار صادر) ٢٠٠٠م.
- مظاهر الاغتراب عند معلمي المرحلة الثانوية في الأردن، عبدالله عويدات، دراسات العلوم الإنسانية (١٩٩٥م).

المقالات:

- مقالة بعنوان (الاغتراب) لحسن فرج: المركز الفلسطيني للإرشاد (٢٠٠٦م).
- الاغتراب وتحديات العصر، قيس النوري، مجلة آفاحد عربية العدد (١٨) لعام ١٩٩٣م).
- (محمد الفهد العيسى: مجموعة إنسان) عبدالرحمن الشبيلي، جريدة الرياض، العدد ٤١٥، السبت ٢٨ ذو الحجة ١٤٣٤هـ.

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٢١٩
٢-	Abstract	٣٢٢٠
٣-	المقدمة	٣٢٢١
٤-	التمهيد	٣٢٢٣
٥-	المحور الأول: حياة الشاعر وسيرته العلمية والأدبية	٣٢٢٣
٦-	المحور الثاني: مفهوم الاغتراب	٣٢٢٥
٧-	المبحث الأول: الغربة الذاتية	٣٢٢٩
٨-	المبحث الثاني: الغربة الاجتماعية	٣٢٣٤
٩-	الخاتمة	٣٢٣٩
١٠-	المراجع	٣٢٤٠
١١-	الفهـــــــــرس	٣٢٤٢

تم بحمد الله